تصميم
مريم جمعة

نوفيلا

منة الله محمود

تدمير ذاتي

لِنُحرِّبْ كل شيءٍ حَولنا ..بأيدينا

منة الله محمود

تدمير ذاتي

منة الله محمود

كتابة: منة الله محمود
غلاف: مريم جمعة
تصحيح:maleha Badr
تصميم داخلي: مريم عوف

الفصل الأول

في إحدى الأُمسيات المُعتادة لِدى 'مريم' حيث أُرجوحتها التي لا تمل و لا تتعب أبدًا من الجلوس عليها..صوت الهواء..حركة الأشجار من حولها..منظر النهر وتعامد الأنوار عليه أعطته مظهرًا جذابًا يُريح من ينظر إليه.. الهدوء الذي يعم حديقة منزلها ولا يقطعه سوى الصوت المنبعث من الأرجوحة..أنشودتها المفضلة المنبعثة من سماعات الأذن خاصتها، تُعتبر هذه الأشياء من طقوسها اليومية التي تُخفف عنها عناء السير طوال اليوم بين المُعلمين والدروس الخصوصية، والتي تُعتبر فرض عليها كونها فتاة في الصف الثاني الثانوي..

قطع تفكيرها وغنائها مع الأنشودة حركة غريبة في الأشجار التي أمامها، ظنت أن هِرة أو طائرًا ما يلعب في الأشجار و بعدها سينتهي هذا الصوت، لكن استمرت الحركة الغريبة وتحركت الأشجار بسرعةٍ أكبر وبدأت تصدر أصواتًا غريبة من وراء تلك الشجرة!

فَلم تستطع مريم كبح فضولها، وتغلبت على خوفها وتسللت بهدوء إلى تلك الشجرة الكبيرة التي تقع على ضفة النيل مباشرةً والتي انبعث منها تلك الضوضاء..

كانت تتلفت حولها في كل خطوة وتدعو أن لا يراها أحد أخواتها الصِغار فَيجلب الباقي وينتشروا في الحديقة، فَإن حدث هذا سَتفقد الهدوء التي تُحبه و لن تستطيع أن تحصل عليه مُجددًا لأخر اليوم!

"""""""""""""""""""

ظهر أمامها جسد أنثوي صغير لا تظهر تفاصيل وجهها بسبب شعرها الكثيف و الطويل الذي التصق عليه بفعل الماء، ويبدو أنها

تُحاول أن ترفع نفسها من الماء والصعود إلى أعلى ومن الواضح أنها على وشك النجاح أخيرًا..

شهقة صغيرة انفلتت من جوف "مريم" واحتل وجهها علامات الذعر، وكانت سترفع صوتها لمناداة أباها ليأتي وينقذ تلك الفتاة ظنًّا منها أنها ستغرق، ولكن ما ألجمها حقًا هو أن باقي جسد تلك الفتاة لم يكن كباقي البشر!

خرج باقي جسدها من الماء والذي كان يشبه من الأسفل الأسماك و لكن حجمها أكبر بكثير من تلك الأسماك التي يأكلونها! إنها ليست سمكة بل هي تُشبه الحوريات التي تُشاهدهم في الأفلام الخيالية و لم تتخيل أبدًا أن تلقاها في الحقيقة!

نظرت لها تلك الحورية بعينها الزرقاء الواسعة والتي يُحيطها أهداب كثيفة، ثم تحدثت وهي تقول بإبتسامة كبيرة والحماس يشع من عينيها:

مرحبًا، أنتِ مريم أليس كذلك؟

جحظت عين "مريم" في رعب ثم قامت بضرب جبهتها حتى تستفيق من هذا الحلم العجيب، وعندما وجدت نفسها في مكانها، قالت في صوتٍ مُرتعب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا لا أنا مش مريم و معرفش حد بالاسم ده..

ضيقت تلك الغريبة عينيها وهي تقول بنبرة مالت للعتاب! صائحة:

مريم لماذا تكذبين عليّ يا مريم؟ لقد أتيت لكِ خصيصًا، إنني أُراقبكِ كل يوم ووددت لو أجلس معكِ، و أن تأخذيني في جولة في هذا العالم الغريب الذي تعيشين فيه..

نظرت لها مريم ببلاهة فَالفتاة تتحدث معها وكأنهم أصدقاء منذ زمن بل وتُعاتبها أيضًا!

تحدثت مريم و هي تلوح بكفها وتُشير إلى الماء أمامهم:
لا معلش مش باخد حد في جولات أنا! و بعدين هتمشي إزاي بمنظرك ده؟
ثم أمسكت رأسها و هي تهتف بِضحك:
ايه اللي أنا بعمله ده بس يا رب أنا بسأل سمكة؟ أنا مجنونة آه بس مش للدرجة دي..
نظرت لها ثم بدأت الحديث بِجدية مزيفة وهي تحاول أن تستعطف تلك السمكة لِترجع مكانها قبل أن يراها أحد:
بصي يا أستاذة سمكة، أنا مقدرة حماسك وإنك عايزة تجربي تعيشي معانا فوق، بس نصيحة مني بلاش والله دول ناس وحشين ولو شوفتيهم هتقولي أنا ايه اللي جابني هنا، أرجعي مكان ما جيتي و خلصينا من الحلم العبيط ده..
نظرت أمامها لِترى أثر هذا الحديث على تلك الغريبة، وجدتها مستلقية على الأرض واضعة إحدى يديها على وجهها لِتُسنده، و ناظرة لها بِملل، ثم سألتها:
أنتهيتِ من حديثك الآن ؟
كان الرد عليها إماءة صغيرة من رأس مريم تُشير بالإيجاب، فأكملت حديثها وهي تُشير إلى نفسها:
أول شيء أنا لستُ سمكة أنا 'رِيوانة' ابنة هذا النيل أو مثلما تقولون عروس النيل!
ثم أكملت و هي تشير بأصابعها للرقم اثنين:
ثانيًا أنا أعلم مدى قذارة عالمكم إنني أسمعهم أثناء سباحتي ف الماء، و أيضًا انظري حولك يوجد قمامة في كل مكان في النهر! من المتسبب بها يا تُرى؟ إنهم البشر لا يفقهون في أي شيء سوى تلويث كل شيء حولهم..

كانت تسمعها "مريم" وهي مندهشة من إنفعالها هذا ثم قالت و هي تدافع عنهم:

على فكرة مش كلنا وحشين آه فينا ناس وحشة بس مش كلنا.. و بعدين لما إحنا وحشين كدا عايزة تطلعي تقعدي معانا فوق ليه؟

ترددت "ريوانة" قليلًا أتقول لها أنه لا يوجد لديها أي أصدقاء في النهر، وأنها أحبتها كثيرًا وتُريد أن تجلس وتتجول معها، ولكنها لم تعتاد أن تُفصح عن حُبها لأحد، فقالت وهي تتظاهر باللا مبالاة:

أريد أن أرى هؤلاء الناس عن قرب، أريد أن أتجول بالقرب منهم و أرى طريقتهم في التعامل مع بعضهم البعض..

ثم نظرت إلى "مريم" بتلك النظرة البريئة، ثم قالت بصوتٍ رقيق:

أرجوكِ يا مريم سأفعل لكِ أي شيء تريدينه، أرجوكِ.

نظرت لها "مريم" بجمودِ مُصطنع لم يدم كثيرًا و تحول إلى إبتسامة صغيرة:

خلاص خلاص انتِ كيوت كدا ليه، هخليكِ تيجي معايا علشان تعرفي قلبي الطيب بس..

و لكن لاحظت ذيلها الطويل والذي لن يُساعدها على الحركة بالتأكيد، فَقالت لها بتساؤل و هي تشير إلى جسد "ريوانة" من الأسفل:

بس هتمشي إزاي بمنظرك ده؟ أكيد مش هشيلك يعني..

ضحكت "ريوانة" بخفوت عندما تخيلت تلك ذات الجسد الضئيل وهي تحملها، ولكنها قطعت ضحكتها ثم أشارت إلى نفسها بِفخر:

لا تقلقي يا مريم أنا معي حل لكل شيء.

ثم أخرجت من مكانٍ ما بجانبها صَدَفة صغيرة لامعة، و رفعتها أمام أنظار "مريم" و قالت في حماس:

أنظري إن هذا ترابٌ سحري لو وضعت القليل منه على جسدي سأتحول إلى إنسية مثلك، وأتجول في جميع الأماكن براحة!
كان رد 'مريم' الوحيد هو نظراتها المبهورة فهي لم ترى في أشد أحلامها غرابة مثل هذا الذي يحدث الآن..
تنهدت مريم بتعب من الأفكار الكثيرة التي توجد في عقلها، ثم قالت بإستسلام:
واضح إنك مجهزة كل حاجة قبل ما تقوليلي.. المهم هستناكِ بكرا الساعة تلاتة هتيجي معايا الدرس، في الطريق وهناك هتشوفي أشكال مش بعيد بعدها تنطي في الميّة تاني و متطلعيش منها أبدًا..
صفقت 'ريوانة' بيديها وقالت بِحماس:
أشكرك كثيرًا يا مريم، كنت أعلم إنكِ لطيفة وستوافقين على طلبي..
ثم تابعت و هي تلقي بنفسها إلى الماء، و قبل أن تغوص داخله نظرت إلى 'مريم' و لوحت لها قائلة:
إلى اللقاء مريم أراكِ غدًا.. و لكن أريد منكِ طلبًا آخر، أحضري أي شيء يُمكننا أن نكتب عليه وقلم للكتابة!
نظرت لها "مريم" بتساؤل :
- ليه و بعدين هو انتِ بتعرفي تكتبي زينا؟
- لا، و لكن أنتِ من ستَكتُب سأقول لكِ لماذا أطلب منكِ هذا ولكن بعد أن ننتهي من جولتنا تلك..
وقبل أن ترد مريم عليها أو تقول أي شيء كانت أختفت هي فجأة في الماء كما جائت، و تركت ورائها واحدة تتخبط من الحيرة ولا تعلم من هذه ؟ وكيف ستكون جولتهم تلك؟ بل والسؤال الذي كان يدور بقوة بداخل عقلها أهي حقيقة أم مُجرد شيء خيالي لا يتواجد سوى في مُخيلتها؟

الفصل الثاني

أول شيء ستتعلمه عن البشر أنهم لا يلتزمون بالمواعيد التي يعطونها للآخرين، إن ريوانة تقف أمام منزل "مريم" منذ مدة طويلة ولكنها لم تأتِ حتى الآن، فَمن الواضح أنها نسيت الوقت المُتفق عليه..

بدأت ريوانة أن تفقد الأمل في مجيء مريم وقبل أن ترحل وجدت مريم تفتح بوابة منزلهم وتخرج منها، عندما رأتها ريوانة صاحت قائلة:

لا أُصدق عَيناي، لقد أتيتِ أخيرًا..

ثم تسائلت بنبرة أعلى:

ألم تتركِ لي أمس شيء صغير لأعرف به الوقت وقلتِ عندما تصل إلي الثالثة سنتقابل؟

نظرت لها مريم بلامبالاة فَهي لم تتعود أن يرفع أحد صوته عليها، حتى أتت تلك الحورية التي ستُفقدها عقلها لا محالة..

عندما أردفت ريوانة جملتها الأخيرة تذكرت مريم ليلة أمس عندما عادت إلى مكان مُقابلتهم مُجددًا وأخذت معها ساعة صغيرة! فَعندما جلست وحدها بعد ذهاب ريوانة، تفاقمت الأفكار داخل عقلها، فَكيف ستستطيع حورية بحر أن تصعد وتعيش على الأرض؟ ثم لاح في عقلها عندما قالت لها سنتقابل الساعة الثالثة عصرًا كيف ستعلم تلك العروس الوقت إذًا؟

وجدت أن الحل الوحيد حتى تهدأ تلك الأفكار أن تذهب إلى ريوانة مُجددًا!

وقفت في نفس المكان وقامت بِمُناداة ريوانة بصوتٍ مُرتفع حتى تسمعها:

ريوانة، ريوانة أنا مريم لو سامعاني اطلعي هقولك حاجة ضروري..

كانت تتلفت حولها كل ثانية لِتتأكد من خلو المكان، فَإذا رأى أحد ما تفعله الآن سيتأكد أنها لديها خلل ما في عقلها!

ظهرت ريوانة في الماء بإبتسامة واسعة بعد دقيقتين من وقوف مريم ثم تسائلت:

ما الذي حدث يا مريم؟ اشتقتِ لي أليس كذلك؟

ثم تابعت وهي تُحرك شعرها بغرور:

أنا أعلم ذلك فَجميع من يعرفني يُحبني ولا يستطيع الإبتعاد عني، فَأنا ولدت جميلة ومحبوبة ليس هذا ذنبي..

كانت تُتابع مريم حديثها وهي مُكتفة الأيدي، ثم تحدثت بإستنكار:

أنا مش عارفة عملت إيه في حياتي علشان يحصل فيا كدا بجد..ريوانة أنا لسه عرفاكِ من ساعة أكيد ملحقتيش توحشيني!

ثم تابعت بنبرة تميل إلى السخرية:

وبعدين ايه كمية الغرور دي يا ماما، مفيش حد بيشكر في نفسه على فكرة لازم الناس هي إلي تقول عليكِ جميلة مش انتِ!

لم تتغير نبرة الغرور الممتزجة باللا مبالاة الخاصة بِريوانة وهي تقول:

-أولًا أنا لست أمك أنا ريوانة لا أعلم كم سأُعيد لكِ هذا الاسم..

ثم تابعت حديثها بتساؤل:

ثانيًا لماذا علي أن أنتظر شخصًا ما ليمدحني؟ أنا جميلة وسأقول دائمًا أنني جميلة ومن لا يُريد أن يسمع فَعليه أن يذهب ولكنني لن أُغير نظرتي لنفسي أو حديثي المُتباهي أبدًا!

عجزت مريم عن الرد عليها فَهي تبدو إلى حدٍ ما مُحقة في حديثها..أردفت مريم وهي تُنهي هذا النقاش الذي ليس له فائدة:

طيب حصل خير خلاص، أنا جيت علشان أسألك على كذا حاجة كدا وأسيب حاجة عندك وهمشي..

نظرت ريوانة لها وأردفت بنبرة تعكس فضولها:

ما هي هذه "الحاجة"؟

فتحت مريم يدها المُمسكة بالساعة ورفعتها أمام أنظار ريوانة، ثم وضعتها في مكان بعيد عن المياه قليلًا حتى لا تُفسَد، ثم أردفت وهي تُشير إليها:

دي ساعة؛ إلي بنعرف بيها الوقت وهي دي إلي هتعرفي منها إن الساعة بقت تلاتة..الصبح مش بليل ماشي؟

نظرت لها ريوانة بإمتنان فَهي كانت مُحرجة أن تصعد وتسألها، ثم تابعت وهي تُتمتم شاكرة:

أشكرك كثيرًا، كنت أريد أن أسألك ولكن يبدو أني نسيت من فرط الحماس.

ابتسمت لها مريم إبتسامة صغيرة:

مفيش شُكر ولا حاجة، وبصراحة أنا كنت هسألك على كذا حاجة كمان بس مش مشكلة هبقى أسألك بكرا..

وقبل أن تذهب رفعت سبابتها وقالت بتحذير:

الساعة تلاتة يا ريوانة أوعي تتأخري..

,,,,,,,,,,,

عادت مريم من ذكريات أمس ثم نظرت لِريوانة بإحراج، فَهي كانت تُحذرها من التأخير ثم أصبحت هي المُتأخرة!

اسفة يا ريوانة بس أنا كنت مفكراكِ مش هتيجي وأنا عادتي إني بتأخر، عادي يعني..

وعلى عكس المتوقع هدأت ريوانة وسامحتها سريعًا، ثم تحدثت وعلى شفتيها إبتسامة صغيرة:

حسنًا لا تعتذري إنكِ صديقتي ولا يوجد بين الأصدقاء إعتذار.

ابتسمت لها مريم، فَهي تشعر أنها بدأت أن تُحب تلك الريوانة، وتخشى أن تعتاد وجودها، ولكنها ستستمتع بوجودها حتى لو كان وجودها لن يدم كثيرًا!

ولكن تحولت تلك الإبتسامة سريعًا إلى فمٍ مفتوح ونظرات إنبهار عندما رأت ما ترتديه تلك الحورية الجميلة..فَكانت ترتدي فُستانًا رقيقًا يُناسب جسدها الصغير، ولونه الأبيض الذي يتماشى مع لون بشرتها بشدة..ثم نظرت إلى شعرها والذي فشلت هي في تحديد لونه حتى الآن، فَليلة أمس كان لونه أحمر قاتم، ولكن الآن لونه برتقالي فاتح اللون! بالتأكيد ستسألها عنه ذات يوم.. وقررت ريوانة تركه منسابًا على ظهرها، لقد بدت جميلة حقًا ولكنها إذا ذهبت هكذا لن تسلم من ألسن أشباه الرجال المتواجدين في كل بقعة في الطريق! ومن الممكن أن تذهب معها ريوانة ولكنها لن تعود مُجددًا!

تسائلت مريم وهي تُشير إلى هيئة ريوانة بيدها:

جبتي اللبس ده منين يا ريوانة؟

دارت ريوانة حول نفسها وهي تقول بسعادة:

إنه التراب السحري يا مريم لقد أخبرتك أمس، ألم يُعجبك مظهري؟

تنهدت مريم تنهيدة مُطولة ثم أجابت:

مظهرك ايه بس إلي مش عاجبني انتِ مش شايفة مظهري أنا؟

ثم تابعت وهي تدور حول ريوانة:

كل الحكاية إني مستغربة حاجات كتير بتحصل وأكبرهم انتِ بصراحة، المهم شعرك ده هيتلم معلش علشان أعرف أرجعك لأهلك في البحر سليمة.

وضعت ريوانة يدها على شعرها وهي تتسائل:

وما علاقة هذا بِشعري إذًا؟

تحدثت مريم بتوسل وهي تنظر في هاتفها لترى كم الوقت:

ريوانة لو سمحتِ اسمعي الكلام على طول علشان الدرس هيبدأ وإحنا لسه واقفين، معاكِ حاجة لشعرك ولا أديكي؟

حركت رأسها بالنفي، فَفتحت مريم حقيبتها تبحث فيها عن أي ربطة للشعر، وهي تدعو أن تجدها فَهي توقفت عن وضعهم في حقيبتها منذ إرتدائها للحجاب، وبعد قلبها للحقيبة وبعثرة محتوياتها وجدت ضالتها أخيرًا..

فَوقفت وراء ريوانة وقامت بجمع شعرها في هيئة كعكة، مُبعثرة قليلًا ولكنها تفي بالغرض.

وقفت بعيد قليلًا وهي تنظر لها، ثم أردفت:

كدا تمام شوية، يلا بقا علشان نلحق الدرس وفي الطريق هتشوفي كل إلي انتِ عايزاه.

صفقت بيديها في سعادة، ثم قالت بنبرة مُتحمسة:

أتمنى أن تكون جولة ممتعة، أنا حقًا مُتشوقة لرؤية هذا العالم..

الفصل الثالث

كانت "ريوانة" تُحاول أن تسرع في خُطاها حتى تستطيع اللحاق بِمريم، ولكن لم تمنعها تلك السرعة من نظرات الإنبهار التي كانت توزعها على كل شيء تراه عيناها فَهي كانت تنبهر بأقل أشياء كالأشجار التي في معظم أماكن هذا الشارع والقطط المتواجدة بكل مكان، ولكن لم تدم تلك النظرات طويلًا، وتحولت جميع تعابير وجهها من الإنبهار إلى الإشمئزاز!

وقفت وهي تنظر إلى هذا المنظر بإستغراب كبير..

وقوفها المفاجئ أدى إلى وقوف مريم أيضًا، والتي قالت بتساؤل مُندهش:

في ايه يا ريوانة؟ ايه إلي حصل غيرتي رأيك ولا ايه؟

أشارت ريوانة إلى صندوق كبير باللون الأخضر، ومُحاصر بأكوام من الأكياس والتي تبعث منها رائحة كريهة، ولم تستطع ريوانة أن تتخطاها هكذا..تحدثت وهي تضع يدها على أنفها ثم قالت بإشمئزاز:

ألا تصل الرائحة لأنفك؟ ما هذه الرائحة كيف تستطيعون التعايش مع هذه الروائح القذرة..

نظرت مريم إلى المكان المُشار إليه والذي لم يكن سوى -صندوق القمامة- المُخصص لقريتهم..

تحدثت مريم مُوضحة لها، وقد أوشك صبرها على النفاذ بسبب تأخرها على موعد دروسها:

ده الصندوق بتاع الزباله يا ريوانة، مش عارفة أفهمك إزاي يعني أي حد بيبقى عنده مُخلفات أو قمامة زي ما بتقولي عليها..بيجيبها وبيرميها فيه.

أشارت ريوانة إلى الأرض تحتهم وهي ما زالت مستمرة على تعابيرها المُشمئزة، ثم أردفت بذهول:
ولكنهم لم يضعوها في الصندوق كما تقولين، بل بعثروها حول الصندوق في كل مكان!
ثم تحدثت بإنفعال وقد علت نبرتها قليلًا:
أتعلمين كم الأمراض التي من الممكن أن تحل فوق رؤوسكم بسبب هذه الفوضى المُقززة..
لفت أنظارها أثناء حديثها حقيبة سوداء بلاستيكية كبيرة ومن الواضح أنها مليئة بالقمامة.. فَأضافت قائلة:
انظري هذه أيضًا، تلك فقط يُمكنها أن تقضي على بلدتك بأكملها..
نظرت مريم إلى الحقيبة ثم أعادت أنظارها إلى ريوانة، ثم تحدثت بإحراج:
بصراحة دي بتاعتنا!
وأضافت بإنفعال طفيف:
وبعدين دي حاجة عادية يا ريوانة أومال هنرميهم فين يعني..
كانت ريوانة تنظر لها بصدمة، فهي لم تتوقع أن تكون مريم مثلهم!
بل وتدافع عنهم أيضًا..أثناء تفكيرها تفاجئت أن الرائحة لم تعد تُضايقها الآن! الرائحة لم تختفي ولكنها اعتادت عليها.. حسنًا لقد تفهمت موقف مريم قليلًا، لقد اعتادوا على الروائح الكريهة والمناظر الفوضوية حتى أصبحت لا تُضايقهم..ومن كثرة اعتيادهم لم يُحاولوا تغييرها أو تجميلها، فَمن إعتاد السيء لا يبحث عن الجيد!
هدأت قليلًا ثم تحدثت بتوضيح حتى تفهم مريم مقصدها:
أنا أقصد أن تضعوها في مكانها، يوجد صندوق كبير يكفي جميع القمامة..لماذا تتركون الصندوق وتلقونها بجانبه؟

سحبت مريم يد ريوانة لتُحركها حتى تلحق درسها، ثم وضحت لها وهي تمشي:

آه أنا فهمتك كدا..بصي يا ريوانة طول ما انتِ ماشية في الشارع هتلاقي حاجات مرمية في الأرض، الناس بتكسل تروح ترميها في الصندوق فَبيرموها في الأرض..

نظرت لها ريوانة بإهتمام وهي تتسائل:

ولماذا لا يُفَرض عليهم عقوبات؟ سيخاف الجميع بعدها وسيضعوها مكانها.

ضحكت مريم بسخرية، ثم أردفت:

يعني هيسيبوا كل حاجة بتحصل وهيفرضوا عقوبات على دي؟

تحولت نبرتها سريعًا إلى الجدية، فَأضافت قائلة:

بصي يا ريوانة في حاجات كدا بتبقى مش محتاجة عقوبات ولا غرامات علشان نبطلها، دي حاجة محتاجة تطلع من جوانا إحنا..لازم نقرر إن المكان بتاعنا يبقى كويس ونسعى لِده فَبالتالي هيتغير ويبقى كويس فعلًا..

تنهدت تنهيدة مطولة ثم تابعت بأسى:

المكان ده جميل جدًا بس إحنا إلى دمرناه يا ريوانة يبقى لازم إحنا إلى نصلحه!

نظرت لها ريوانة بإعجاب وسعادة، فَهي اختارت مريم لأنها رأت هدوئها وعقلها الكبير أثناء مراقبتها لها، ويبدو أنها أصابت في إختيارها، ألقت نظرة سريعة حولها ثم تسائلت:

ومتى ستتغيرون يا مريم؟ يجب أن يبدأ أحد منكم وسوف يُقلده الآخرون.

تحدثت مريم وهي تُحرك رأسها بالإيجاب:
أنا عارفة ده كويس، في حاجات كتير هتتغير لو حد واحد بس أخد خطوة إيجابية، بس إحنا شعب كسول شوية يعني كل واحد مستني الباقيين هما إلي ياخدوا الخطوة..
نظرت لها ريوانة ثم أردفت بتساؤل:
- ولماذا لا يأخذها هو؟
- ما قولتلك إحنا شعب كسول، وممكن تضيفي حاجة إننا سلبيين كمان!
كان هذا رد مريم البسيط في عدد كلماته، ولكنه مُصيب في معناه..بداخل مريم الكثير من الكلمات المُصيبة والذي إذا سمعها الجميع لتغير الكثير، ولكن كلماتها ستظل حبيسة عقلها، و مؤخرًا أصبح لديها القليل من المستمعين!
توقفت مريم مرةً واحدة ثم سحبت ريوانة وتوجهت ناحية النهر..
تصلبت ريوانة في مكانها، ثم صاحت بنبرة مذعورة، وصوتٍ مرتفع:
لماذا تذهبين عند النهر، لا يا مريم أرجوكِ أنا لا أريد الذهاب الآن، أنا آسفة لن أتحدث عن القمامة مُجددًا..
ضحكت مريم بصوتٍ عالٍ على سذاجة صديقتها الجديدة، حاولت أن تتحدث من بين ضحكاتها، فخرج صوتها متقطع قليلًا:
بس يا حبيبتي بطلي هبل، مش هرجعك المياه متخافيش بس هو ده الطريق.
هدأت ريوانة قليلًا ثم تسائلت بشك:
لا تكذبين عليّ أليس كذلك؟
حاولت مريم كبت ضحكتها، ثم قالت بصدق:
والله مش بكذب، واهدي بقا الناس كلها بتبص علينا.

نظرت ريوانة حولها فَوجدت معظم الناس يتطلعون إليها، فَنظرت لهم بِحرج ثم أمسكت كف مريم وذهبت معها في هدوء، حتى جلسوا على مقعد مصنوع من الرخام كما يجلس معظم من حولهم.
لم تستطع ريوانة تفسير ماذا يحدث، فَنظرت إلى مريم بتساؤل ثم قالت بنبرةٍ حائرة:
ماذا ننتظر يا مريم؟
أشارت مريم إلى الجهة المقابلة، فَنظرت ريوانة إلى ما يُشير إليه إصبعها فَوجدت شيئًا ما يُشبه السفينة ولكنها مُتهالكة قليلًا..لم تفهم حتى الأن ماذا ينتظرون، وقبل أن تسأل مُجددًا، أردفت مريم موضحة:
دي اسمها *معدّية* يا ريوانة، هنركبها دلوقتي علشان تنقلنا الناحية التانية هناك بقا دروسي، وفي ناس كتير جدًا وبصي هتنبهري بجد..
قالت مريم جُملتها الأخيرة بسُخرية والتي أثارت فضول ريوانة وبشدة..
لم ترد ريوانة عليها واكتفت بحركة بسيطة من رأسها، ثم نظرت إلى النهر، هذا المكان الذي عاشت به طوال حياتها، دار في رأسها العديد من الأفكار..تُرى ما الذي ينتظرها وستنبهر به؟ هل يوجد شيء أقبح من هذا المنظر الذي رأته وتلك الرائحة التي لا تُطاق؟ لا تنكر أنها مليئة بالحماس لِتلك التجربة الجديدة، ولكنها تخشى أن يتحول هذا الحماس إلى شعور آخر سيء!

الفصل الرابع

"حسنًا هي توقعت أنهم يملكون بعض الخصال السيئة..ولكن ليس إلى هذا الحد! "

كانت ريوانة مع مريم في "المعدية" كما يُطلَق عليها وكانت تشاهد المنظر الخلاب بإستمتاع ولكن كالعادة إستمتاعها وإنبهارها لم يدم كثيرًا، وهذه المرة كان بسبب هؤلاء البنات، والذي يستحي هذا اللقب أن يقترن بهن! فَصوتهن المرتفع الذي بالتأكيد يسمعه جميع الرُكاب، وألفاظهم الغريبة التي لم تفهم منها سوى القليل..كانت تنظر لهم بإستغرابٍ كبير وهي تُحاول أن تتحكم في نظراتها المُشمئزة والتي تريد الظهور على وجهها وبشدة، ولكن ما أدهشها حقًا هي نظراتهم لها..فهي كانت في البداية نظرات متفحصة ثم تحولت إلى أخرى مُشمئزة! ونظرة أخرى لم تستطع تفسيرها.

لم تستطع كبت تساؤلاتها فَنظرت إلى مريم الغارقة في هاتفها، ثم همست في أذنها بنبرة جاهدت أن تكون واضحة ومُنخفضة في ذات الوقت حتى لا يسمعها هؤلاء المرعبات في نظرها:

مريم، أريد أن أسألك عن شيءٍ ما.

أغلقت مريم هاتفها ونظرت إلى ريوانة ثم سألتها بصوتٍ مهتم:

في إيه؟

أشارت ريوانة بعينيها إلى البنات الجالسات على المقاعد المقابلة لهن، ثم قالت بصوتٍ هامس:

انظري كيف ينظرون إليّ هؤلاء البنات، إنهن ينظرون لي أنا بإشمئزاز! يبدو أن منازلهن خالية من المرايا..

كانت تقول جملتها الأخيرة بتعصبٍ شديد فَهي كانت تُعامل في النهر أنها الأجمل على الإطلاق..ومن يقول غير هذا يهذي بكل تأكيد وبالتالي لن تهتم بحديثه!

لفت إنتباهها صوت ضحكاتهم العالية والتي لا تُناسب أعمارهن، صدقًا هذه الضحكات ليس لها عمر محدد..ويجب فرض عقوبة على من تضحكها ويتخلصوا منها مباشرةً حتى لا تنشر هذا الوباء..

كانت تُحاول جاهدة أن تُحافظ على إنفعالاتها ولا تُظهر إشمئزازها، ولكنها لن تستطيع أمام حركاتهن تلك بكل تأكيد..كانت تُشاهد مريم إنفعالات ريوانة بهدوء وكأنها مُتوقعة هذا المشهد، بل يبدو أنها عاشته من قبل!

تحدثت هي هذه المرة ثم قالت بصوتٍ خافت:

أنا مقدرة حالتك دي بس لازم تهدي علشان قدامك لسه حاجات أغرب.

نظرت إليها ريوانة بذهول، ثم أردفت وهي تُشير على الفتيات:

أغرب من هؤلاء لا يمكنني تصديق هذا.

أسرعت مريم بإنزال يدها التي تُشير بها ثم قالت بصوتٍ خافت:

نزلي إيدك انتِ بتعملي ايه لو عرفوا إننا بنتكلم عنهم مش هيرحمونا صدقيني.

إنكمشت ريوانة على نفسها قليلًا، فَحديث مريم صحيح إلى حدٍ ما، والأذى سيُصيب مريم بالأخص لأنها تراهم كثيرًا ولكن هي سوف تعود إلى النهر في وقتٍ قريب جدًا! همست مؤكدة على حديث مريم:

معكِ حق، إنني سمعتهم يتحدثون عن رجل ما ولكنني أُشفق عليه حقًا من كم السُخرية والحديث السيء الذي نُسِب إليه.

ضحكت مريم بِخفوت ثم همست بحقيقةً بكل تأكيد ستكون صادمة لريوانة، فأردفت ضاحكة وهي تُحاول أن تُثير فضولها:
انتِ عارفة الراجل إلي هما بهدلوه ده مين؟
نظرت إليها ريوانة بتساؤل وقد نجحت في إثارة فضولها بالفعل:
مَن هو؟ قولي على الفور أرجوكِ.
إقتربت مريم من أذن ريوانة ثم همست بصوتٍ منخفض كأنه سر خطير! :
ده المستر بتاعنا، أو علشان تفهميها المُعلم بتاعنا يعني إلي بيدرسلنا..
لم تستطع أن تكتم ريوانة تلك الشهقة المُتفاجئة والتي خرجت من جوفها، ثم قالت بصوتٍ مرتفع نسبيًا:
ماذا تقولين، حسنًا لقد توقعت أنهم سيئين ولكن ليس إلى هذا الحد.
صوت ريوانة المرتفع جعلها محط أنظار معظم رُكاب المعدية، ولكن ما أثار دهشتهم حقًا هي طريقتها في الحديث، فَليس من المُعتاد أن يتحدث أحد باللغة العربية..أمسكت مريم يد ريوانة وهي توزع ابتسامات متصنعة على الرُكاب من حولهم، ثم همست بصوتِ جاد لريوانة:
كدا مش هينفع الناس هنا مش هيسكتوا لو عرفوا إننا بنتكلم عنهم، وبعدين كفاية شكلك وشعرك إلي مش عارفة هما ساكتين عليه إزاي أصلًا.
همست ريوانة بإستنكار وهي تدافع عن شكلها:
أصبحت أنا ذات المظهر الغريب الآن؟ أنظري حولك ثم انظري إلي ستعرفي حينها من هي ذات الشكل الغريب.
قالت جملتها الأخيرة بإنفعال ثم نظرت أمامها بغضب، كانت تنظر إليها مريم بذهول فَهي لم تقصد هذا مُطلقًا، ولكن يبدو أن تلك

الريوانة ستتعبها حتى تستطيع التفاهم معها..حاولت أن تكبت ضحكتها على مظهر ريوانة والذي يبدو كَطفلة عابسة، ثم قالت بصوتٍ رقيق:

مش قصدي أزعلك على فكرة، وأكيد يعني شكلك مش وحش يا ريوانة هو حلو وده إلي مخليني قلقانة، وهتفهمي ليه كمان شوية.

لم تنتظر رد ريوانة ثم تابعت مُجيبة على التساؤلات التي تدور بداخلها بالتأكيد:

بالنسبة للبنات فَهما للأسف بيتكلموا عن المستر بتاعهم أيوة، وكل الكلام ده كان عليه وبسمعهم كتير للأسف.

تخلت ريوانة عن صمتها هذه مرة ثم قالت بدهشة:

لكن حديثهن كان قليل الحياء يا مريم، يبدو أنهم صغيرات في السن لماذا لا يُنبههم أحد؟

تنهدت مريم ثم قالت بصوتٍ يتخلله الحزن:

المرحلة إلي هما فيها دي أسوأ فترة في حياة أي بنت تقريبًا، هما مفكرين نفسهم كدا جامدين بس محدش بيتأذي غيرهم..

تسائلت ريوانة وكأنها تُفكر بصوتٍ مرتفع:

إذن لماذا لا ينصحهم أحد؟ إنها فترة صعبة كما قولتِ لكننا يُمكننا أن ننقذ الفتيات وستصبح حياتهن أفضل بعدها، لكن إذا تركناهم ووقفنا ننظر إليهن من بعيد لن يتغير شيء..

كان كلام ريوانة صحيحًا ولكنه لم يكن جديد على أُذن مريم، فَهي تجلس طوال الليل تُفكر في فكرةٍ ما تنقذهن ومثيلاتهن من تلك المرحلة الخطرة، وقد أتت الفكرة إليها أخيرًا ولكن بقى فقط التنفيذ..

قررت أن تُطلع ريوانة على ما هي مُقدمة على فعله، فقالت بصوتٍ جاد قليلًا:

بصي أنا بحاول على قد ما أقدر أغير ده، سواء عن طريق كتابة، كلام مثلًا وحاجات كتير بس التغيير إلي بشوفه بطيء جدًا يا ريوانة جدًا.

جملتها الأخيرة كانت توحي كم هي يائسة من قلة عدد من يتأثر بحديثها، فَتابعت بضحكة مصتنعة:

عارفة أنا اكتشفت إننا بنتغير للوحش بسرعة جدًا، بس بناخد وقت طويل علشان نعرف نبقى حلوين..وحقيقي معرفش ليه.

أصغت إليها ريوانة بإهتمام، فَيبدو أن مريم تُريد تغيير أشياء كثيرة ولكن ليس هناك من يُشجعها على هذا..ألقت نظرة مرة أخرى على الفتيات وجدتهن لم يكفوا عن الثرثرة! ولكن هذه المرة أشفقت عليهن حقًا فَأعمارهن صغيرة على هذا الحديث يجب أن يُعلمهم أحد كيف يُفرقوا بين السيء والجيد، كيف يخترن ألفاظهن..والعديد من الأشياء يجب أن يتعلموها من جديد.

أخرجها من أفكارها حركة مفاجئة كأن تلك المعدية صدمت شيئًا ما!

نظرت إلى مريم بذعر ولكن وجدتها هادئة، فأردفت متسائلة:

ماذا حدث ما هذه الحركة؟

صمتت مريم قليلًا كأنها تحاول فهم سبب ذعرها، ثم تحدثت وهي تقف من مكانها:

متخافيش ده كده معناه إننا وصلنا خلاص.

ثم تابعت وهي تفرد إحدى يداها أمام ريوانة:

امسكِ إيدي بقا ومتسيبيهاش خالص علشان ميحصلش حاجة، ومش عايزة أي إندهاشات يا ريوانة مهما شوفنا!!

الفصل الخامس

عالم الأصوات المُزعجة، أقل ما يُمكن قوله على هذه الضوضاء المحيطة بهن في كل مكان، كعادتها كانت تستكشف ما الذي يحدث حولها ولكنها الآن فقط عرفت لِماذا كانت تقول مريم دائمًا أن هُناك ما هو أَشد غرابة..

كانت تتابع ما يحدث أمامها بذهول فَهناك مجموعة من المفترض أنهم رجال ولكن هيئتهم وملابسهم لا توحي بذلك! ما هذه الملابس حقًا ولماذا ستقع بناطيلهم هكذا؟ وأثناء تمعنها بهم وجدتهم يضربون صديقهم وهو يضحك! منذ متى والمرء يضحك عندما يُضرب.. أبعدت أنظارها وهي تمتم بذهول بداخلها ثم نظرت إلي الجهة الأخرى وجدت العديد من الأولاد يمتلكون نفس صفات المجموعة السابقة يبدو أنها ظاهرة منتشرة بينهم، حدقت بهم لتستكشف ما يفعلون فَوجدتهم يُتابعون كل فتاة تمر من أمامهم بنظراتٍ ليست بريئة بالمرة، وفي بعض الأحيان يتطاولون بالأحاديث التي لم تفهم منها شيئًا ولكن يبدو من تعابير الفتيات المُنزعجة أنها ألفاظ سيئة للغاية!

أبعدت أنظارها سريعًا عندما وجدت أحدهم يرسل إليها نظرات لم تُعجبها ثم أشار عليها ليراها زملائه، أمسكت بيد مريم جيدًا وهي تلعن نفسها بداخلها لأنها خاضت تلك المغامرة!

وزعت مريم نظراتها بين ملامح ريوانة المذعورة ويدها الممسكة بها بشدة، ثم سألتها:

ايه في ايه حد كلمك؟

حركت ريوانة رأسها نافية ثم أردفت:

لا لم يحدث شيء ولكن نظرات هؤلاء الرجال أرعبتني قليلًا.
ضحكت مريم بخفوت، ثم تحدثت بسخرية:
رجال ايه بس يا ريوانة مش بنقول عليهم رجال دول، بصي طول ما إحنا ماشيين هتقابلي من ده كتير وممكن أسوأ فَاستحملي معلش.
لم تستطع أن تفهم ريوانة مقصد مريم ولكنها لم تستفسر كثيرًا، نظرت إلى المكان الذي تنظر إليه مريم وجدته طريقًا طويلًا ذا أرضية باللون الرمادي ويمشي عليه العديد من الأشياء مختلفة الشكل بسرعة فائقة، أعادت أنظارها إلى مريم ثم تسائلت:
إلى ماذا تنظري يا مريم؟ ولماذا ننتظر ألم تقولي أننا سنتأخر عن درسك هكذا؟
تحدثت مريم وهي مازالت ناظرة إلى الطريق:
بختار توك توك يا ريوانة، ولازم أختار حد شكله كويس علشان متخطفش أنا وانتِ!
عقدت ريوانة حاجبيها ثم تسائلت بعدم فهم:
ما هو التوك توك هذا؟ ولماذا سيختطفونا أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا.
تنهدت مريم بنفاذ صبر ثم أردفت:
التوك توك ده هو الأسود إلي بتلت عجلات هتلاقيه في كل مكان هنا.
أشارت إلى أحد "التكاتك" حتى يتوقف، وأمسكت يد ريوانة وركبوا معًا، ألقت نظرة سريعة على ريوانة لتطمئن أنها بخير ثم أملت السائق المكان الذي سيتوجه إليه، وبعدها همست في أذن ريوانة لتجيب على سؤالها الأخير وهي تحاول أن لا يسمعهن السائق:
وبالنسبة للخطف بقا فَده أسهل حاجة دلوقتي ومنتشر أوي ومش لازم تكوني عملتِ حاجة غلط على فكرة..

لم تقتنع ريوانة بتلك الإجابة المبهمة فَتسائلت مجددًا:
لم أفهم ماذا سيفعلون بنا إذن؟
ألقت مريم بنظرها على السائق فوجدته يتحدث في هاتفه ولا يسمعهن، فأردفت بصوتٍ منخفض:
حاجات كتير منها سرقة الحاجات إلي معاكِ مثلًا، هياخدوا أعضائك! وحاجات أبشع من كده كتير تحبي أوضح أكتر؟
احتضنت ريوانة نفسها وهي تنظر إلي مريم بملامح مشمئزة من هذا الحديث، ثم قالت بذعر:
ماذا أعضائي! أيمكنني العودة إلى أمي؟ لم أتوقع هذا أبدًا صدقيني.
ضحكت مريم بخفوت ثم أمسكت يد ريوانة حتى تُطمئنها قليلًا:
ما أنا قولت كده من الأول..عمومًا متخافيش مش هيحصل حاجة وهترجعي سليمة.
ثم تابعت بغرور:
محدش هيقدر يكلمك وانتِ معايا متخافيش.
ضحكت ريوانة على هيئة مريم وهي تُحدثها، ثم قالت بسخرية:
إنني أخاف عليكِ يا مريم، أنا لا أعيش هنا ويمكنني الرجوع إلى موطني في أي لحظة! ولكن انتِ ومثيلاتك ستبقون هنا دائمًا أنتن من يجب أن يُخاف عليهن ليس أنا..
وقبل أن ترد مريم عليها توقف السائق أمام المكان المنشود، فَنزلت مريم وهبطت ريوانة ورائها، ثم أعطت السائق نقوده وأمسكت بيد ريوانة واتجهت إلى مكان الدرس، فتحت محفظة النقود الخاصة بها ثم سألت ريوانة بضيق:
ريوانة هو انتِ ناوية تطولي في الجولة دي؟ يعني هتقعدي كتير؟
حركت ريوانة رأسها بالنفي وهي تجيب:
لا سأعود قريبًا، ماذا حدث أسئمتِ مني؟

أجابت مريم مسرعة وهي تنفي حديثها:
لأ لأ مزهقهتش أكيد ده أنا حتى مبسوطة إن في حد بيتكلم معايا وبقوله أفكاري براحتي كده.
صمتت قليلًا ثم قالت بإحراج:
بس الحصة إلي هندخلها دي أنا إلي هدفع فلوسها من مصروفي، علشان ماما لو عرفت إني هدفع من فلوسها لعروسة بحر هترميني أنا في البحر عندك، فعلشان كده بقول ترجعي على طول.
ضحكت ريوانة وهي تضع يدها على فمها حتى لا تلفت الأنظار إليها ثم أردفت:
سأعود في أسرع وقت لا تقلقي.
هبطوا معًا إلى مكان يبدو أنه مهجور من الهدوء الذي به، يحتوى على مكتب صغير وبجانبه القليل من الكراسي، ويوجد العديد من الغرف المغلقة، قامت مريم بإخراج النقود لتُعطيها إلى الفتاة التي تُسجل الأسماء، وبالطبع لم تسلم من النظرات الفضولية حول هيئة ريوانة، قامت بتسجيل اسمها واسم ريوانة والذي قامت مريم بتسجيله "روان أحمد"! وقبل أن تعترض ريوانة قامت مريم بجذبها واتجهت إلى إحدى الغرف والتي كانت مليئة بالكراسي وبها ثلاث فتيات فقط، سحبت ريوانة يدها من يد مريم ثم تحدثت بإعتراض:
من روان أحمد تلك، أمازلتِ تُخطئين في اسمي حتى الآن؟
كانت تبحث مريم بعينها على مقعد بعيد عن الأنظار حتى تسلم من التعليقات السخيفة، انتقت أحد الأماكن وهي تدعو في سرها أن يمر هذا الوقت على خير..جلست أخيرًا ثم أشارت إلى ريوانة لتجلس بجانبها ثم أردفت بهدوء:

أكيد مش هروح أقولها إن اسمك ريوانة وأكيد اسم باباكِ أغرب، وبعدين هي مستغربة شكلك أصلًا فكفاية عليها كده.
اقتنعت ريوانة بحديثها قليلًا، ثم بدأت بالنظر حولها فَوجدت ثلاث فتيات فقط، يُجاهدن حتى لا ينظرون عليها ولكنها لم تجد المعلم ألم تقل مريم أنها مُتأخرة! خرجت أفكارها على هيئة سؤال تلقائيًا فَتسائلت بإندهاش:
ألم تقولي أنكِ تأخرتِ وجئنا نركض من أجل ذلك؟
ضحكت مريم ضحكة صغيرة ثم أردفت:
أنا بحب أحضر بدري وبفضل طول الطريق متوترة كده حتى لو لسه في وقت قبل الحصة..حركات غبية متركزيش يعني.
لم تُعطيها فرصة للرد فَأضافت قائلة:
المهم دلوقتي لسه قدامنا وقت أهو وأنا دماغي فيها أسئلة كتير جدًا، فَهستغل ده وهتجاوبيني على كله.
ثم نظرت إليها وهي تسألها:
ماشي؟
حركت ريوانة رأسها بالإيجاب وهي تقول:
حسنًا، وأنا أيضًا لدي العديد من الأسئلة وأريد التحدث كثيرًا!
ثم تابعت مسرعة قبل أن تبدأ مريم بالحديث:
ولكن قبل أي شيء هل معكِ شيئًا نكتب فيه كما اتفقنا؟
فتحت مريم حقيبتها مُسرعة وقامت بإخراج قلم وورقة، ثم أعادت أنظارها إلى ريوانة وهي تقول بحماس:
أيوة مع إني معرفش هنحتاجهم في ايه، المهم أنا هبدأ بأول سؤال بقا علشان الفضول هيموتني.
نظرت إليها ريوانة بإهتمام لتحثها على متابعة الحديث، فَقالت مريم بتساؤل:

دلوقتي أنا بتكلم بطريقة وانتِ بطريقة تانية خالص، بتفهميني إزاي بقا؟

ضحكت ريوانة على بساطة السؤال فَهي توقعت أنه سؤال عميق وسيحتاج وقت لإجادة إجابته، ولكنها أجابت ببساطة تضاهي بساطة السؤال:

إنني أعشق مراقبة هذا العالم كنت أسبح بالقرب من أماكن تواجدكم واستمع إلى حديث النساء والأطفال، لقد سمعت الكثير حتى أنني سمعتك في يوم! وهكذا أصبحت أفهم بعض الكلمات.

نظرت إليها مريم بدهشة، تلك النظرة التي لم تفارقها منذ رؤيتها لريوانة.. ثم أردفت بتساؤل:

يعني وأنا بكلمك بتبقي فاهماني؟

صمتت ريوانة قليلًا ثم أجابت بحرج:

لأكون صريحة..أنا لا أفهم كل حديثك ولكنني أشعر بأهميته وأعلم أيضًا أن ليس هُناك من يسمعك.

عبست ملامح مريم قليلًا فَتابعت ريوانة مسرعة:

لا تضايقي يا مريم، أنا هنا حتى أسمعك، سأُنصت إلى جميع حديثك ولن أرحل قبل أن تبوحي بكل ما لديكِ ونجد له حلًا أيضًا.

ابتسمت مريم ابتسامة صغيرة وأحست بدموعها تنوي الهبوط فَمسحت عينيها سريعًا قبل أن يراها أحد.

ليس هُناك شعور أقبح من التجاهل، عندما تشعر أن من حولك يملون من حديثك، وتكتشف أن أحلامك وحديثك المتحمس يعتبرونه هراء! في هذا الوقت فقط تشعر أنك كُسِرت من أقرب الناس إليك..

نفضت مريم تلك الأفكار الحزينة من رأسها فَهي بالتأكيد لن تبكِ هنا! حاولت أن تُعيد حماسها لتُكمل هذا الحوار الشيق، فأردفت بضحكة زائفة:

يلا نكمل

كانت تتابع ريوانة الأنفعالات الطارئة على وجه مريم، وهي تنهر نفسها بشدة على حديثها السخيف، فتداركت نفسها سريعًا ثم تسائلت وهي تضحك ضحكة متوترة:

حسنًا، لقد قلتِ أن لديكِ حل لهؤلاء البنات ما هو إذن؟

صمتت مريم قليلًا فهي تتوتر عندما يسألها أحد عن أفكارها ويتبخر الكلام من عقلها وتُصبح كالبلهاء، أخذت نفس عميق ثم قالت بصوتٍ جاد:

بصي أنا مش عارفة هتفهميني ولا لأ بس هتكلم وخلاص علشان الفكرة تثبت في دماغي أكتر.

نظرت إلى الورقة وقامت بكتابة "جميعنا مُتشابهات" جملة من كلمتين ولكنها تحتوي على أهم الأفكار التي تنوي مريم أن تبدأ فيها..ولكنها خائفة من أن تفشل مُجددًا! تابعت حديثها وهي مازالت تنظر إلى ما خطته يداها، ثم قالت بصوتٍ حالم وحزين:

أكتر حاجة ممكن أوصل بيها أفكاري هي الكتابة يا ريوانة أو بمعنى أصح هي الحاجة الوحيدة إلي أنا شاطرة فيها، في حاجات كتير لازم تتغير وحاولت أغيرها فعلا بس شكلي كده فشلت..

كانت تتابعها ريوانة وهي مشفقة عليها، فأردفت بصوتٍ متحمس:

لا يوجد شيء اسمه فشلت يا مريم إنها حجة الكسول فقط، مازلتِ صغيرة جدًا على هذه الكلمة الكبيرة، لقد حاولتِ مرة واحدة..مرتان.. حتى لو حاولتِ مئة مرة، وفشلتِ أيضًا ستستمري في المحاولة ثم تفشلي في المئة وواحد!

قالت جملتها الأخيرة بنبرة مازحة فضحكت مريم معها، ثم نظرت لها بإمتنان فَهي لم تُجرب إحساس أن يسمعها أحد ويحاول أن يُهون عليها الأمور ولكن كعادة ريوانة أتت لِتُغير حياتها..ليتها تبقى للأبد!

رجعت ريوانة إلى حالتها المتحمسة مجددًا وأردفت بأمل:

لا أعلم ما هو الشيء الذي ستفعلينه ولكنني أثق بكِ وأثق أنكِ ستنجحين به، وستنقذي هؤلاء الصغيرات المُتهورات ومثيلاتهن في كل مكان، وستصنعين منهم فتيات ناجحات لهم هدف في هذه الحياة.

ثم وضعت يدها على كتف مريم وقالت بصوتٍ حانٍ:

كل هذا لن يحدث لو تخاذلتِ هكذا من البداية، يجب أن يروكِ ناجحة لينجحوا مثلك، عديني أنكِ ستبدأي بإستكمال جميع أحلامك يا مريم.

نظرت ريوانة لها بترقب، فَأبتسمت لها مريم وهي مازالت مُحافظة على نظرة الإمتنان:

وعد يا ريوانة..

سفقت ريوانة بيديها، ثم قالت بسعادة:

أحسنتِ هذه هي صديقتي الناجحة.

ضحكت مريم على شكلها ثم قالت بصوتٍ منخفض:

- تعرفي إن مفيش حد بيشجعني كده ولا في حد بيسمعني..انتِ أول حد يعمل كده!

- لأنهم أغبياء

كان هذا رد ريوانة العفوي ولكنه أضحك مريم وأعجبها كثيرًا، قالت مريم من بين ضحكاتها:

شكرًا إنك موجودة بجد.

ابتسمت إليها ريوانة ولكنها لم ترد، فإذا سألها أحد ما أصعب شيء يُقابلك سيكون الرد على الحديث الجميل بالتأكيد.

كانت تريد ريوانة أن يُتابعوا تلك المناقشة الهامة، فتسائلت مُجددًا:

ألا يوجد لديكِ أفكار لهذه القمامة التي رأيناها؟

أجابتها مريم بنبرة عادية بعد أن هدأت من نوبة الضحك:

زي ما قولتلك أنا كل إلي بعرف أعمله هي الكتابة ومعتقدش إن الناس إلي بترمي الزبالة هي نفس الناس إلي هتقرأ.

إجابتها كانت مُقنعة إلى حدٍ ما، فصمتت ريوانة لتُفكر في حل، ولكن قطع تفكيرها صوتٍ غريب يأتي من خلفهم يقول:

أنا عندي حل!

الفصل السادس والأخير

أفزعهم صوت الفتاة القادم من خلفهم فهي لم تُصدر صوتًا منذ قدومها، ابتسمت الفتاة ثم قالت بحرج:
أنا آسفة إني بتدخل كده بس كلامكم شدني بصراحة وحبيت أشارك.
بادلتها ريوانة الإبتسامة ثم أردفت:
لا تعتذري يا جميلة فَنحن نريد حل بالفعل ويسعدنا مشاركتك.
نظرت لها الفتاة بإندهاش من هيئتها وطريقتها في الحديث، فضحكت مريم ثم قالت بنبرة مازحة:
نصيحة مني متحاوليش تفهمي مين دي علشان أنا لغاية دلوقتي مش فاهمة برضو، بس عموما دي سمكة صاحبتي.
كانت تتابع ريوانة حديثها ثم قالت بنبرة منزعجة:
لن تكفِ عن مزاحك السخيف هذا أبدًا.
ثم تابعت حديثها بإبتسامة وهي تنظر إلى الفتاة:
مرحبا أنا ريوانة جئت من النيل ولكنني لست سمكة، وأنا هنا مع مريم صديقتي ولكنني لن أدوم كثيرًا!
حاولت الفتاة جاهدة أن تخفي نظراتها المندهشة حتى لا تحرج ريوانة، فابتسمت لها ثم أردفت:
وأنا يارا، ومبسوطة إني شوفتك.
كانت تتابع مريم حديثهم بملل فَهي تكره لحظات التعارف، فقالت بمزاح تعلم أنه لن يضحك أحد:
وأنا مريم لو حد حابب يعرف يعني، ممكن ندخل في الموضوع على طول قبل ما المستر يدخل.
أردفت يارا بنبرة جادة:

أنا سمعت إنك شاطرة في الكتابة، وأنا بحب التصوير وأعرف واحدة بتحب ترسم، كل واحدة فينا هتستغل موهبتها دي وهتبدأ تتكلم عن الأماكن إلي بنشوفها مش أحسن حاجة.

أشارت إلى ريوانة ثم تابعت حديثها:

ريوانة شافت الزبالة بس تقريبًا، وحلها إن ممكن أنا أصورها وانتِ تكتبي عنها أضرارها مثلًا وإزاي ممكن نغير ده، والبنت ترسم عن شكل المكان من غير زبالة وإزاي هو أحلى بكتير..وهنعمل كده مع كل مكان وحش هنشوفه وهنبدأ نعرض كل ده على جروب مثلًا، يمكن الفكرة تفرق وحاجة تتغير فعلًا.

إنتهت من حديثها فوجدتهن ينظرون لها بإعجاب وأول من صرحت بهذا الإعجاب كانت ريوانة التي أردفت بإنبهار:

يبدو أنها فكرة رائعة أحسنتِ حقًا.

ابتسمت لها يارا بإمتنان ثم نظرت إلى مريم تنتظر رأيها، فقالت مريم بإبتسامة صغيرة:

الفكرة تحفة فعلًا وعجبتني، بس مش عايزة أكون محبطة وأقولك إنها إحتمال كبير تفشل!

ضربتها ريوانة ضربة صغيرة على ذراعها وهي تقول بصوتٍ غاضب:

إنكِ سخيفة فعلًا، إنني أقول منذ الصباح أن لا يوجد شيء يسمى فشلًا وأنتِ هنا تُعيدي الكلمة مجددًا أمام الفتاة.

ثم نظرت إلى يارا وقالت بإبتسامة:

لا تكترثِ لحديثها فهي بائسة ومتشائمة هكذا دائمًا، ليست مثلك.

ضحكت مريم على حديث ريوانة ثم تحدثت لتوضح لهم رأيها:

أنا قلت إني مش عايزة أحبطك بس أنتِ شبههي أفكارنا وأحلامنا جميلة بس للأسف مش بتجذب الناس، أنا نفذت أفكار كتير وكنت

ببقى متحمسة ليها زيك كده بس تقدري تقولي إن كتر الفشل بيطفي الحماس ده..

أرجعت يارا ظهرها على المقعد وهي تأخذ نفس عميق ثم قالت بهدوء:

أنا فاهماكِ على فكرة لأني زيك برضو بتعب في الحاجة إلي بقدمها جدًا بس مفيش مقابل أو حتى تقدير قصاد إلي بعمله، بس لو فكرتي هتلاقي إن دي طبيعتهم إلي إحنا عايزين نغيرها وأكيد عمرهم ما هيتغيروا في يوم ولا حتى في شهر بس إحتمال يتغيروا بعد سنة مثلًا! محدش هيعرف الوقت ده غير إلي هيكمل ومش هيقف..

صمتت قليلًا لتلتقط أنفاسها وتُعيد ترتيب الكلمات من جديد ثم تابعت:

الشخص إلي هيكمل ده بقا لسه مش موجود..أو موجود بس مكسل وخايف من وهم اسمه هفشل!

قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر في أعين مريم لتُحفَر الكلمات في عقلها ولا تخرج أبدًا.

تحدثت مريم أخيرً فتسائلت بصوتٍ منخفض:

- يعني هننجح؟

- معرفش النجاح مفهومه ايه بالنسبة ليكِ ، بس كل إلي أعرفه إن المحاولة نفسها تُعتبر نجاح.

صمت الجميع بعد هذه الجملة وكل واحدة منهن غرقت في أفكارها..كانت مريم تُعيد التفكير في أحلامها، فهي تمتلك العديد من الأفكار ولكنها لن تستفيد شيء إن أبقتهم داخل عقلها فقط، أمسكت القلم وبدأت في كتابة جميع الأفكار وجميع الأشياء التي ستكتب عنها ثم طوت الورقة ووضعتها داخل حقيبتها..بعدها أمسكت

هاتفها وفتحت شيئًا ما ووضعته أمام يارا التي نظرت لها بتساؤل، فأجابتها بحماس:

اكتبي رقمك علشان أكلمك ونبدأ، المحاولة مش هتخسرنا حاجة فعلًا.

ابتسمت لها يارا ثم بدأت في تدوين رقمها، وأثناء هذا كانت تتابعهم ريوانة بإبتسامة كبيرة تنم عن سعادتها فهي تشعر أنها أدت دورها الآن!

إكتشف ثلاثتهم أن المكان أصبح مزدحم وهناك من يقول أن المعلم سيدخل بعد قليل..شعرت ريوانة أنها بدأت تتوتر قليلًا وكان هذا واضحًا على ملامحها فقامت يارا بخلع معطفها ثم أردف وهي تشير على غطاء الرأس الملتصق به:

البسيه وحطي ده على دماغك، أهم حاجة شعرك ميبانش وهو مش هياخد باله إن شاء الله.

فعلت ريوانة كما قالت لها، وحاولت مريم ويارا إخفائها بقدر الإمكان حتى تمر هذه الساعة بسلام..

****

إنتهت الساعة أخيرًا وخرجت مريم وريوانة من "السنتر" بعد توديعهن ليارا وإتفاقهم على ما سيقوموا بفعله قريبًا..كانت ملامح ريوانة لا تبشر بالخير، فتسائلت مريم وهي تنظر لها بإهتمام:

في ايه حصلك حاجة؟

أردفت ريوانة بنبرة توحي أنها ستبكي الآن:

ليست حاجة واحدة يا مريم إنني أشعر أن دماغي ستنفجر الآن من صوت معلمكم هذا..ولكن الأبشع حقًا هو هذا المقعد الذي كنت جالسة عليه، إنه آلة تعذيب ليس مقعد طبيعي صدقيني، إنني لا أشعر بقدمي!

كانت تتابع مريم حركات ريوانة وطريقتها في الحديث وهي تحاول إخفاء ضحكتها، فريوانة ذكرتها بنفسها عندما أتت هنا لأول مرة..أمسكت يد ريوانة لتساعدها على الحركة ثم قالت مازحة:

دي علشان أول مرة تيجي هنا، بس بعد كده هتتعودي.

قاطعتها ريوانة صائحة بصوتٍ مرتفع:

لن يكون هناك مرة ثانية، أنا لست غبية لأكررها.

ضحكت مريم ثم قالت مؤيدة لها:

حقك بصراحة، أنا لو مكانك مش هكررها خالص.

قررت مريم أن تمشي قليلا هذه المرة حتى ترى ريوانة أماكن أكثر، لم تستطع ريوانة أن تراقب المكان بهدوء وتستمتع به بسبب المضايقات التي تقابلها، قطع سكوتهن صوتها الغاضب وهي تقول:

ألا يوجد عمل وراء هؤلاء الأولاد؟ ما الممتع في وقوفي كالأبله هكذا وأنا أفعل حركات حمقاء بوجههي..من الذي قال لهم أن شكلهم جذاب إنهم مقرفين!

كانت تتابع مريم حديثها بتفهم فهي أيضًا تكرههم وتكره حركاتهم وكلماتهم تلك..لماذا لا نوأد أشباه الرجال هؤلاء؟ تحدثت مريم بقلة حيلة هذه المرة:

دول بالذات موعدكيش إني هقدر أغيرهم لأنه صعب، بس ممكن أحاول وربنا يستر بقا!

اكتفت ريوانة بابتسامة صغيرة، فهي تشعر أنها لن تستطيع التحدث براحة وسط هؤلاء الحمقى، وقفت مرة واحدة كأنها تذكرت شيئًا ما، ثم قالت بابتسامة:

كانت جولةً ممتعة يا مريم، استمتعت بها كثيرًا وأرجو أن تكوني استمتعتِ أنتِ أيضًا..عالمكم جميل به مناظر خلابة، وناس جميلة يكفي أنكِ تنتمي إليه! أريدك أن تتكلمي عن روعة مكانكم أيضًا لا

تذكري السلبيات فقط، وأرجو أن يكون كل شيئٍ جميل وأن يتوقف الناس عن تدمير أنفسهم..

توقفت عن الحديث قليلًا ثم قالت بطريقة مضحكة وهي تتحرك بعشوائية في المكان:

- أنا لا أستطيع أن أقول كلام جيد ولكن كل ما أريد قوله أنني أحبك يا صديقتي.

- ريوانة خلي بالك!!

قُطِع كلام ريوانة إلى الأبد وانتهت جولتها القصيرة، نعم أنها لم تدم كثيرًا ولكن مفعولها سيدوم إلى الأبد..

الخاتمة ♡

"عزيزتي ريوانة..
لقد تفاجئت صباح اليوم أن كل ما حدث معنا كان مُجرد حلم صغير صنعه عقلي، ويبدو أنه أجاد الصنع هذه المرة وأنتج لي الحلم الأجمل على الإطلاق، والصديقة الأفضل على الإطلاق حتى لو دامت صداقتنا ليومٍ واحدٍ فقط..
أريد أن أشكرك على حسن إستماعك لي ولأنكِ أشعرتيني أن حديثي مهم وهناك من يُريد أن يسمعه حقًا، إنكِ أفضل من أُناس كثيرة متواجدة حولي وللأسف هم الحقيقيون وأنتِ المزيفة..أريد أن أشكرك أيضًا على تلك الأفكار الجميلة التي لحسن الحظ لم أنساها لقد أعدتِ شغفي الضائع وأعدك أنني سأبدأ في تلك الأفكار، وأرجو أن يتغير أي شيء وينتهي تدميرنا لأنفسنا وتنبهرين بنا في زيارتك القادمة..
ستظلين في مُخيلتي دائمًا وسأنتظرك حتى تأتي إلي في حُلم آخر!
صديقتك مريم"

إنتهت مريم من كتابة هذه الرسالة في دفترها ثم وجدت نفسها تتذكر ما حدث وهي تبكي! فهي حتى الآن لا تصدق أن تلك الجولة الممتعة لم تكن سوى حلم..وريوانة تلك الجميلة التي هونت عليها الكثير وأضحكتها كثيرًا أيضًا كانت خيال! لكنها تعلم أن لا يوجد شيء يحدث بدون سبب فَهذا الحلم لن يمر هكذا، سوف تنفذ كل شيء كانت تريد أن تفعله في الحلم، وأول شيء ستفعله هو البحث عن يارا..

خطت شيئًا ما في الورقة ولم تكن سوى جملة "لن تستطيعي تغيير العالم ولكن على الأقل ستُغيري حياتك..ولن تستطيعي إرشاد الجميع إلى الصواب ولكن إصلاح من حولك ليس صعب!"
كتبتها بسرعة وعشوائية ولكنها نظرت لها طويلًا كأنها تحفر معناها بداخلها، قطع أفكارها صوت رسالة قادم من هاتفها اتسعت عينيها بدهشة وهي ترى من أرسل لها تلك الرسالة..أعادت قرائتها أكثر من مرة وهي تنظر إلى الاسم تارة وإلى الحديث تارة ثم قالت بصوتٍ هامس:
يارا!
قرأت الرسالة بصوتٍ مرتفع قليلًا لتتأكد من محتواها:
مساء الخير يا مريم، أنا متابعة كتابتك من فترة وحبيت تفكيرك أوي وحسيته شبه حاجات كتير في دماغي..عمومًا أنا بصور وهبقى مبسوطة لو عملنا حاجة مع بعض!
سكتت مريم قليلًا ثم تحدثت بذهول:
ايه الرعب ده هو أنا لسه في الحلم ولا ايه..
ردت مريم أخيرًا بعد تردد دام لدقائق:
مساء النور، أكيد هبقى حابة لو عملنا كده وأنا عندي فكرة ممكن ننفذها.
قصت عليها مريم الفكرة التي تحدثوا عنها في الحلم وأعجبت يارا كثيرًا واتفقوا على تنفيذها للمرة الثانية! اتفقت مع يارا أنهم سيجمعوا الفتيات الموهوبات وسيتجمعوا جميعهن في "جروب" حتى يبدأوا أولى خطواتهن..
إنتهت مريم من الحديث مع يارا ثم كتبت في دفترها "تم إنجاز الخطوة الأولى، أعتقد أنها كانت الخطوة الأسهل على الإطلاق..حان وقت باقي الخطوات الآن!"

******

لم يمر سوى سبعة أيام فقط على هذا الحلم ولكنها تشعر أن ما تغير بها أكثر بكثير، لقد قامت بتجهيز خطة "جميعنا متشابهات" كما وعدت ريوانة وسوف تُعلن عن الاسم في غضون أيام! ووجدت هي ويارا العديد من الفتيات لديهن موهبة يطمحون أن يستطيعوا تغيير أشياء كثيرة بها..لا يربطهن أي شيء سوى أملهم في التغيير.

اتفقت هي ويارا أن أول المتحدثين ستكون هي لتشرح لهن الفكرة ولكنها كانت تُريد أن تقول شيءٍ أهم من الفكرة! ضغطت على زر التسجيل ثم بدأت في الحديث:

مساء الخير، قبل أي حاجة أنا حابة أقول إني مبسوطة بكل واحدة هنا لأن معنى إنها معانا يبقى فعلًا هي ليها هدف وبتحاول توصله، مش محتاجة أقول إن حياتك من غير أي أحلام أو أهداف دي مش حياة..حياتك هتبتدي بجد لحظة ما هتعرفي ايه الحاجة إلي انتِ شاطرة فيها وهتقدري توصلي أفكارك من خلالها.

صمتت قليلًا لترتب باقي الحديث ثم تابعت حديثها:

أنا عارفة إنكم مستنيين الفكرة بس الأهم منها وإلي لازم تعرفوه إن مش أول ما هنبدأ فيها هننجح..بالعكس فكرتنا دي ممكن تاخد أيام..شهور أو حتى سنين علشان تتشاف وممكن تفشل ومحدش يشوفها أصلًا! مش بقول كده علشان أحبطكم بس أنا عايزة أفكرني وأفكركم إن مجرد إننا أخدنا الخطوة وبنحاول هنعتبر كده ناجحين خلاص..هبعت دلوقتي الفكرة كلها بالتفصيل وأتمنى إننا كلنا نحقق إلي نفسنا فيه.

أرسلت مريم التسجيل الصوتي ثم تبعته برسالة بها شرح الفكرة كاملة، وانتظرت لدقائق وبدأت رسائل الفتيات تملأ الشاشة

أمامها..كانت تنظر إليهن بابتسامة كبيرة وهي تدعو بداخلها أن يدوم هذا الحماس لفترة طويلة.

"يختلف الجميع عن متى نشعر بالسعادة أكثر، وقت الوصول إلى الهدف أم أثناء الطريق؟ ولكنني أشعر أن أجملهم هو البداية..الوقت الذي تُحدد فيه أهدافك وتتحول حينها من شخصٍ عديم الفائدة إلى آخر يشعر أنه سيغير العالم بأكمله إن تم تنفيذ هذه الأحلام! شعور رائع يجب أن يُجربه الجميع ليشعر بلذته"

خطت مريم كلماتها الأخيرة ثم نظرت إلى المكان الذي رأت به ريوانة لأول مرة في الحُلم، تحدثت بنبرة ممتنة كأنها تراها:

شكرًا ليكِ يا ريوانة كنتِ مجرد حلم بس هتنقذي ناس كتير من تدميرهم لنفسهم وللناس إلي حواليهم، وأهمهم أنقذتيني أنا من الإحباط إلي كنت عايشة فيه..أمنيتي الوحيدة هي إن يبقى في زيك كتير بس واقعيين.

صمتت قليلًا ومازالت أنظارها مثبتة على نفس المكان وكأنها تنتظر أن ترد عليها ريوانة بابتسامتها المعتادة ولكنها تعلم أن هذا لن يحدث..كانت ستبعد أنظارها ولكن فاجئتها الأشجار التي تحركت في مكانٍ محدد بسرعة كبيرة كأن ريوانة ترد عليها! وتطمئنها أنها بجانبها وسعيدة بها..ولكنها ذكرت نفسها سريعًا أن هذا خيال بالتأكيد خيال ولن يحدث!

أتمنى تكونوا حبيتوا القصة وأكون قدرت أوصل الفكرة بشكل كويس، هبقى مبسوطة لو ساعدتوا إن القصة تنتشر أكتر..وهستنى رأيكم كلكم على الجروب هنا "قصة من حياتك"

26/12/2021

Mennat-allah Mahmoud